

وحدة الوجود

للأستاذ تقولا الحداد

هذا الموضوع طارح على بساط البحث في هذه المجلة منذ أكثر من سنة ، وتناقض فيه بعض الكتاب وتشعبت آراؤهم فيه في نواح مختلفة ، وما استقرت على نظرية واحدة . واليوم عاد الأستاذ عبد المرز محمد الزكي بسطه ثانية طارحاً فيه نظرية طاغور الهندوكي . وهي على حد قوله حجر زاوية في الديانة الهندوكية كالتوحيد في الإسلام (والنصرانية أيضاً) .

وقد أفاض الأستاذ عبد المرز في الموضوع في ستة أعمدة من المجلة ، ولكنه بكل أسف لم يعرفنا المقصود من « وحدة الوجود » . ومعظم ما ورد في مقاله مبهم فلما يستقر الذهن فيه على معنى .

والذي فهمناه من الوجود أن للفلاسفة فيه ترواين : وحدانية الوجود Uaism وثنائية الوجود Duabism . أما وحدانية الوجود فقد وضعت في فلسفة سبينوزا وغواها أن الكون كل واحد ، وإن كان مكوناً من أجزاء ، وأنه يشمل الله ، أو بالأحرى إن الله يشمل . وبموجب هذه الفلسفة يكون الله موجوداً في كل جزء من الكون ، أو أن كل جزء من الكون يجبر من الله . وبهذا الاعتبار فالله موجود في كل مكان .

وكذلك العقل الذي يدرك الكون (عقل الله مثلاً) وعقل الإنسان النبتق من عقل الله يجب فلسفة الطران (وكل) هو جزء من الكون لا يتفصل عنه والكون لا يوجد بدون ، فإذا لم يكن العقل موجوداً فالكون لا وجود له ، وإن زعمنا أن الكون موجود على كل حال ، فبأي عقل يوجد ؟ وأي عقل يدركه ؟ ما لا يوجد في الإدراك ، أو في عقل مدرك ، فلا وجود له . أما ثنائية الوجود ، فقد وضعت في معظم فلسفة الفلاسفة ، وهي أن الكون موجود منفصلاً عن الله وعن العقل الذي يدركه ؛ يعني أن الكون صرتان أي Two Catlgorys : الكون المادي والكون العقلي ، والمقصود بالكون العقلي الله وما انبثق منه من المقول . وبهذا المعنى يكون الله ذاتية Entity قاعمة بدانها

مستقلة عن الكون المادي ، وإنما هو بحسب رأى اللاهوتيين حال في كل ذرة من مواد الكون المادي ، ولكنه ليس منه البتة فإذا للوجود كونان : كون مادي وكون عقلي أو روحي ، وهذا ليس من ذلك بل هو يدركه . ومعظم الفلاسفة ثنائيين يستمدون ثنائية الوجود . ولا أدرى أي النظريتين تنفق مع طاغور والديانة الهندوكية ، وكذلك لا أرى أي النظريتين توافقان النصرانية والإسلام . إن هذا يتوقف على ماهية الله . والله في اللاهوت المسيحي « روح (لا مادة) أزلي (وأبدى سرمدي) خالق كل شيء (من العدم) وقادر على كل شيء ، وموجود في كل مكان وكل زمان ، وطام بكل شيء » . وأظن هذا التعريف مقبول في الإسلام . وبموجب هذا التعريف يوافق الرأي الثنائي الإسلام والنصرانية ، لأن الوحدانية تستلزم أن يكون الله غائماً للإدراك البشري . أعني يستطيع العقل الإنساني أن يبحث فيه ويحمله ، كما يبحث في القدرة ويحملكها ، ويفهم مقاصده من غير وحى وإلهام . وهذا لا يوافق الإسلام ولا النصرانية .

وأما كيفية مطابقة « الوحدة » للعقيدة الهندوكية فلم نفهمها جيداً من بحث الأستاذ الزكي واقتباسه نظريات طاغور . فثلاً لا نفهم قوله : « إن الله حيناً استقلالاً بالسرور خاضت منه الخليفة ، فالكون عند طاغور هي الصورة التي يتجلى فيها سرور الله ، الخ » هذا كلام يحتاج إلى تفسير مستفيض إن كان تفسيره ممكناً . ثم قوله : « إن الإنسان لن يحصل على كماله الروحي إلا عندما يتلاشى شعوره بذانيته ويدمج في كل ما حوله من كائنات . وبشير ذلك لن يدرك أحد حقيقة وحدة الوجود » . كيف ذلك ؟

وهناك فقرات كثيرة من هذا الطراز لا نفهمها . مفرأ يا أستاذ !

وقد اتفق بطاركة الفلاسفة الأولون - سقراط وأفلاطون وأرسطو - على أن الله موجود مع الكون سرمدي منذ وجد هذا الكون (إن كان لوجوده بداية) ، ولكنه لم يخلقه وإنما هو يدركه .

هذه العقيدة أقرب إلى المقول من غيرها ، وتطابق نظرية ثنائية الوجود إذا اعتبرنا الله مجموعة النوايس الطبيعية وطى رأسها ناموس المأذبية ، فإما أن تكون المأذبية هي الله نفسه ، أو أن الله وراهها ممسكها بيده ويدبر بها عوالم الكون ، لأنه